﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الرّوم: 17 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تسبيح الله وتحميده وسيلتان للنّجاة من العذاب وحلولِ دار الثّواب

لـمّا بيّن اللّهُ تعالى فيما سبَقَ أنّه يبدأ الخلق ويعيده، وأنّ الخلق يكونون فريقين؛ فريق في الجنّة، وهم المؤمنون العاملون بالصّالحات، وفريقٌ في السّعير، وهم الكافرون المكذّبون بالآيات، ذَكَرَ هنا ما يوصل للنّعيم ويُبعد عن الجحيم؛ إشارةً إلى أنّ تسبيح اللّهِ ﷻ وتحميدَه وسيلتان للنّجاة من العذاب، وحلولِ دار الثّواب[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾: (سبح) أصلٌ يدُلُّ على جِنْسٍ من العِبادةِ[2]، وأصلُه: المارُّ السّريع في عبادة الله تعالى، وجُعل ذلك في فعل الخير، كما جُعل الإبعادُ في الشّرّ، والتَّسْبيحُ: التَّنْزيهُ والتَّقْديسُ والتَّبْرِئَةُ، وجُعل عامًّا في العبادات، قولًا كان أو فعلًا أو نيَّةً، يُقال: سَبَّحْتُ اللّهَ، وسَبَّحْتُ لَهُ، أُسَبِّحُهُ تَسْبيحًا وسُبحانًا، أيْ: نَزَّهْتُهُ وبَرَّأْتُهُ من كُلِّ سوءٍ ونَقْصٍ[3]، ويأْتي بمعنى قَوْلِ: سُبْحانَ اللّهِ، فيُقالُ: سَبَّحَ الرَّجُلُ، أي قال: سُبحانَ اللّهِ، ويُطْلَقُ التَّسْبيحُ أيضًا على التَّنَفُّلِ والتَّطَوُّعِ بالعبادةِ[4]، والمقصودُ من قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: إنشاءُ تنزيهِ اللّهِ تعالى عمّا نَسبوهُ إليه، منَ العَجْزِ عن إحياءِ النّاسِ بعد موتهم وإنشاء ثناءٍ عليه تعالى[5].

(1) الصّاوي، حاشية على الجلالين: 3/ 203.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبح)، والخطّابيّ، غريب الحديث، ص: 685.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبح).
(4) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (سبح)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 96.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 65.

2) ﴿تُمْسُونَ﴾: (مسي) أصلٌ يدلُّ على زَمانٍ من الأزمنةِ، وهو خِلافُ الصّباحِ[1]، والمُسْيُ من المساء، كالصُّبح من الصَّباح، والمُمْسي كالمُصْبح، والمساء بعد الظُّهر إلى صلاةِ المَغرب، وقالَ بعضُهم: إلى نصفِ اللَّيل، وقَول النّاس: كَيفَ أمْسيْت، أي: كَيفَ أنْت في وقت المساء، ومَسَّيْتُ فُلانًا، قلتُ لَهُ: كيفَ أمسيتَ، وأمسينا نَحنُ: صِرنا في وقتِ المساء[2]، والمقصودُ من قوله تعالى: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: أمْرُه لعباده بأن يُسبّحوه وقتَ المساء، أي: في النّصف الثّاني من النّهار.

3) ﴿تُصْبِحُونَ﴾: (صبح) لَوْنٌ من الألوانِ أصلُه الحُمْرةُ، وسُمّيَ الصُّبْحُ صُبْحًا لحُمرتِه، كما سُمّيَ المِصباحُ مِصباحًا لحُمْرته[3]، والصُّبْحُ: أوَّلُ النَّهارِ، يُقال: صَبَّحْتُ الرَّجُلَ: إذا أتيتَهُ أوَّلَ النَّهارِ، وأصبَحَ القَوم: إذا دخلوا في الصَّباحِ[4]، والصَّباحُ: نورُ النَّهارِ[5]، ويُطلَق عليه: الفَجْرُ، والغَداةُ، وضِدُّه: المَساءُ، وجَمعُه: أصْباحٌ[6]، والمقصودُ من قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: أمْرُه لعباده بأن يُسبّحوه وقتَ الصّباحِ، أي: في أوَّل وقت النَّهار.

4) ﴿وَعَشِيًّا﴾: (عشو) أصلٌ يدُلُّ على ظَلامٍ وقِلَّةِ وُضوحٍ في الشَّيءِ[7]، والعِشاءُ: أوّلُ ظلام اللّيلِ، والعَشيُّ: من زوال الشّمس إلى الصّباح، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النّازعات: 46]، والعِشاءُ: من صلاة المغرب إلى العتمة، والعِشاءانِ: المغرب والعتمة[8]، وقال الأزهريُّ: ويَقَع العِشيُّ على ما بين زَوال الشَّمس إلى وقت غُروبها، كلّ ذلك عِشيّ، فإذا غابَتِ الشَّمس فهو العِشاء[9]، وعليه فالمراد بالعشيّ في الآية: مِن زَوالِ الشَّمسِ إلى الصَّباحِ، أو من الظُّهرِ إلى نِصفِ اللَّيلِ، أو صلاةَ العصرِ.

5) ﴿تُظْهِرُونَ﴾: (ظهر) أصلٌ يدُلُّ على قوَّةٍ وبُروزٍ، من ذلكَ: ظَهَرَ الشَّيءُ يَظهرُ ظُهورًا، فهو ظاهرٌ، إذا انكشفَ وبرزَ؛ ولذلكَ سُمّيَ وقتُ الظُّهرِ والظَّهيرةِ، وهو أظهرُ أوقاتِ النَّهارِ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسا، مسي).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مسي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبح).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (صبح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (صبح).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (صبح).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عشي).
(8) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (عشو، عشا، عشي).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عشا).

وأضوؤُها، والأصلُ فيه كُلِّه: ظَهْرُ الإنسانِ، وهو خِلافُ بطنِه، وهو يجمعُ البُروزَ والقوَّةَ[1]، والظُّهْرُ: ساعَة الزَّوال؛ ولذلك قيل: صَلاة الظُّهْرِ، وقد يحذفون على السَّعَة فيقولونَ: هذه الظُّهْرُ، يُريدونَ صَلاةَ الظُّهْرِ، والظَّهيرَةُ: حدُّ انتصافِ النَّهار، وقيل: إنَّما ذلك في القَيظ، وقيل: الظُّهرُ مُشْتَقٌّ منها، يُقالُ: أتاني مُظَهِّرًا ومُظْهِرًا، أي: في الظَّهيرَة، وأظهَرَ القَوْمُ: دخلوا في الظَّهيرَة[2]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿تُظْهِرُونَ﴾: تَدخُلونَ في وقتِ الظَّهيرةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَذكُرُ اللّهُ سبحانَه أنواعًا متعدِّدةً مِن الأدلَّةِ والبراهينِ على وحدانيَّتِه؛ لبيان أنّ الله تعالى تَنزَّهَ عن كُلِّ عَيبٍ ونَقصٍ، فنَزِّهوه - أيُّها النّاسُ - حينَ حُلولِ المساءِ، وحينَ حُلولِ الصَّباحِ، وهو وحْدَه المُستَحِقُّ وصْفَه بصِفاتِ الكَمالِ مع محبَّتِه وتَعظيمِه، في السَّمواتِ والأرضِ، ونزِّهوه وقْتَ العَشيِّ، ووَقْتَ الإظهارِ، وفي الآية دلالةٌ على أوقات الصَّلوات الخمس، فقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ صلاةُ المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاةُ الظّهر[3].

الحمد الكامل لا يكون إلّا لله

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ التّعبير بـ(الفاء) في ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ دون غيرها؛ لِتَعَدُّد معانيها، فتحتمل هذه الفاءُ الإفصاحَ أو التّفريعَ، فعلى كونها فاءَ الفصيحة، أي: أفصحت عن جواب شرطٍ مُقَدَّرٍ، فيكون المعنى: إذا علِمتم أيّها العقلاء المميِّزون أنَّ الثّواب والنّعيم

ترتيب تسبيح ربّ العالَمين على معرفة مصير المؤمنين والكافرين

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظهر).
(2) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (ظهر).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 476، والواحديّ، تفسير البسيط: 18/ 30، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/ 95، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 638.

للمؤمنين العاملين، والعذابَ والجحيمَ للكافرين المُكذِّبين، فسبّحوا اللّه، وعلى كونها فاءَ التّفريع، وهي الّتي تُفيد أنّ الكلام بعدَها مُتَرَتِّبٌ على الكلام الّذي قبلَها، فكأنَّه قيل: إذا صحَّ واتَّضح عاقبةُ المُطيعين والعاصين، فقولوا: (نسبِّحُ سبحان)[1].

دلالة التّعبير بـ(سبحان):

التّنزيهُ المُطلَق لله سبحانه

ورَدَ لَفْظُ (سُبْحانَ) في قَوْله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالَةِ عَلى تسبيحِ اللّه ذي العَظمَةِ المُطْلَقَةِ، و(سُبحانَ) اسْمُ التَّسبيحِ، وهو اسم مَصدَرِ (سَبَّحَ) المضاعَفِ وليس مَصدَرًا، لِأَنَّهُ لم يَجئ على أَبْنِيَةِ مَصادِرِ الرُّباعيّ، وقيل: هو مَصدَرُ (سَبَحَ) مُخَفَّفا بمَعْنى نَزَّهَ، فيَكونُ كالغُفْران والشُّكْران والكُفْران، مِنْ غَفَرَ وشَكَرَ وكَفَرَ، وقد كَثُرَ استعمالُه مَنْصوبًا على المفعوليَّةِ المطلَقَةِ بإضمارِ فِعْلِه، كـ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 23]، وهوَ مصدَرٌ مَنصوبٌ على أنَّهُ بَدَلٌ من فِعْلِه، وأصْلُ الكَلام: أُسَبِّحُ اللّه سُبْحانًا، فلَمّا عوِّضَ عَنْ فِعلِه صارَ (سُبْحانَ اللّه) بإضافَتِه إلى مفعولِه الأصْليّ، وهو مَمنوعٌ منَ الصَّرفِ لِلعَلَميَّةِ وزيادَةِ الألِفِ والنّونِ، قالَ سيبَوَيْه: "وَأمّا تَرْكُ تَنْوينِ (سُبحانَ) فلِأَنَّهُ صارَ عِنْدَهم مَعْرفةً"[2].

بلاغة التّعبير بالخبر عن الأمر:

وجوب المسارعة إلى الامتثال، بإخراج الأمر في صورة الخبر

جاء الخبرُ في قَوْله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ مُرادًا به الأمرُ، والنُّكتة البلاغيَّة في إخراج الأمر في صورة الخبر تأكيدُ الأمر، والإشعارُ بأنّه مِمّا يجب أن يُتَلَقَّى بالمسارعة إلى امتثاله حتّى كأنّه امتُثل، فهو يخبر عنه موجودًا، ونحوُه قولهم في الدّعاء: (رحمكَ اللّه)، حيثُ أُخرج في صورة الخبر ثِقةً بالاستجابة، كأنّما وُجِدت الرّحمة فهو يُخبر عنها، ومِمَّن أشاد بهذه النُّكْتَةِ ابنُ القيّم بقوله:

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 95، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 08/ 08.
(2) سيبويه، الكتاب: 1/ 324، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 414.

"قد جاءت أشياء بلفظ الخبر وهي في معنى الأمر والنّهي، منها قولُ عمرَ: «صلّى رجل في كذا وكذا»[1] - مِن اللِّباس - وقولُهم: (أنجز حرٌّ ما وعد)[2]، وقولهم: (اتقى اللّهَ امرؤٌ) وهو كثيرٌ، فجاء بلفظ الخبر الحاصل تحقيقًا لثبوته، وأنّه ممّا ينبغي أن يكون واقعًا ولا بدّ، فلا يُطلب من المخاطَب إيجادُه، بل يُخبَر عنه به؛ ليُحَقِّقَهُ خبرًا صِرْفًا، كالإخبار عن سائر الموجودات"[3]، وقد جَعَل ذلك بعضُ العلماء صورةً بيانيَّةً مِن نوع الاستعارة، بتشبيه النّسبة الإنشائيَّة بالنّسبة الإخباريَّة في الحصول والوقوع[4].

نُكْتَة إضافةِ المصدر إلى اسم الجلالة:

تعظيم توحيد الألوهيّة

أُضيف اسمُ المصدر (سبحان) في قَوْله تَعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ إلى الاسم الأعظم ﴿ٱللَّهِ﴾، الجامعِ لأسمائه الحسنى دونَ لفظ الرّبِّ؛ تعظيمًا لِحَقِّ الأُلوهيّة، وتقريرًا للقوّة الكاملة والعزّة القاهرة لله سبحانه، فهو جديرٌ بكلِّ الصِّفات الفائقة المقتضية لتنزيهه عن كُلِّ نقصٍ[5]، لذلك كان التّعبيرُ باسمِ الجلالَةِ لإحضارِ المعنى الجامعِ لِصِفاتِ الكمالِ[6].

دلالةُ التّعبير بالتّسبيح عن الصّلاة:

الصّلاة تسبيح باللّسان والجَنان والأركان

أمرُ اللهِ ﷻ بتسبيحه في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، إمّا أن يكون محمولًا على مُطلق التّنزيه، أي: نزِّهوه عن صفات النَّقص، وصِفوه بصفات الكمال، وإمّا أن يُحمل على الصّلاة خاصّةً، من باب إطلاق الجُزء وإرادة الكلِّ، إذِ التّسبيح جزءٌ من أجزاء الصّلاة، كقول المصلّي: (سبحان ربّي الأعلى، سبحان ربّي العظيم) وما

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (358)، ومسلم في صحيحه، برقم: (515).
(2) من قول الحارث بن عمرو الكندي، والعسكري، جمهرة الأمثال: 1/ 30.
(3) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 111.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 15/ 114.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 533.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.

أشبهَ ذلك، ويدلّ على هذا المعنى ما رويَ أنّ نافعَ بنَ الأزرق سأل ابنَ عبّاس: «هل تجِدُ الصّلواتِ الخَمْسَ في القرآن؟ قال: نعم، وتلا قولَه تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾»[1]، فنُسِجَت الآيةُ على نسجٍ صالحٍ لشموله الصّلوات الخمس وأوقاتها، وذلك من إعجاز القرآن[2]، ولا شكَّ أنّ القولَ الأوّلَ يتضمّنُ القولَ الثّانيَ وزيادة؛ وذلك لأنّ التّنزيهَ المأمور به يتناول التّنزيهَ بالقلب، وهو الاعتقاد الجازم، وباللّسان مع ذلك، وهو الذِّكر الحَسَنُ، وبالأركان معهما جميعًا، وهو العمل الصّالح، والصّلاة أفضلُ أعمالِ الأركان، وهي مشتملة على الذِّكر باللِّسان والقصد بالجَنان، وهي نوع من أنواع التّنزيه[3].

دلالة تقييد التّسبيح بالأوقات:

لـزوم التّسبيح على الدّوام

جاء التّسبيح في قَوْله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ مُقَيَّدًا بالإصباح والإمساء، فعلى القول بأنّ التّسبيح المأمورَ به مُطلَقُ التّنزيه، يكون تخصيصُ التّسبيح في وقتَيْ المساءِ والصباح؛ لأنّ آثار القُدرة والعظَمة فيهما أظهر، فإخراجُ الظّلمات من النّور في المساء، وطلوعُ الشّمسِ في الصّباح من أعظم آيات الله الكونيّة، فناسبَ الأمرُ بالتّسبيح فيهما[4]، وقال بعضُهم في نُكْتَة التّخصيص بهذه الأوقات: أنّ الإنسان ما دام في الدّنيا لا يمكنه أن يصرف جميعَ أوقاته إلى التّسبيح؛ لكونه محتاجًا إلى أكلٍ وشُربٍ وتحصيل مأكولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ ومركوبٍ، فأشار الله تعالى إلى أوقاتٍ إذا أتى العبد بتسبيح الله فيها يكون كأنّه لم يَفْتُر، فيتشبّه بالملائكة المُلازمين للتّسبيح على الدّوام كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: 20][5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 66.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 66.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 86.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 15/ 115.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 86.

دلالة التّعبير بالمضارع:

تجدُّد التّسبيح ودوامُـه في كلّ يوم

جاءت الأفعال ﴿تُمۡسُونَ﴾، و﴿تُصۡبِحُونَ﴾، و﴿تُظۡهِرُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ للدّلالة على الدّوام واللّزوم، فإنّ هذه الأوقات تتجدّد في كلّ يوم، وتتجدّد فيها نِعَمُ اللّهِ سبحانه على العبد، ممّا يستوجب عليه تجديدَ الثّناء والحمد والتّسبيح والصّلاة لربّه في كلّ يوم.

نُكْتَةُ تكرارِ الظّرف ﴿حِينَ﴾:

التّأكيد على أهمّيّة الوقت في حياة العبد

تكرّر الظّرفُ ﴿حِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾، والنّكتة في ذلك التّأكيدُ على أهمّيّة الوقت في حياة العبد، وضرورةِ استغلال كلِّ زمنٍ من أزمان يومِه في تسبيح مولاه ﷻ، المُنعِم عليه في كلّ حين، كما أنّ في تكرار الظّرف ﴿حِينَ﴾ دفعًا لتوهّم جمعِ الإمساء والإصباح في تسبيحٍ واحدٍ، فجاءت الدّلالة على تغايرهما، وأنّ لكلّ وقتٍ تسبيحًا يخُصُّه.

دلالةُ تقديم الإمساء على الإصباح:

اللّيل سابِقُ النّهار شرعًا ولغةً

تقدّم الإمساءُ على الإصباح في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾؛ لأنّ اللّيل سابقُ النّهار شرعًا ولغةً، ولأنّ الاستعمال العربيَّ يعتبر اللّياليَ مبدأ عددِ الأيّام، قال تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾ [سبأ: 18].

وممّا يُذكَر في سرِّ تقديم الإمساء على الإصباح: أنّه تقدّم في سياق الآيات ذِكْرُ الحشر والإعادة من قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: 11] إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [الرّوم: 16]، وذُكرا كذلك في قوله بعد: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ والإمساء آخِرٌ، فذَكَرَ الآخِرَ ليُذَكِّرَ الآخرَةَ[1]، وهذا من باب التّناسب في بلاغة القرآن الكريم.

دلالةُ عدم تعيين المخاطَب في الآية:

تعدُّدُ المُرادِ بالأمر

جاء التّعبير القرآنيُّ بعدم تعيين المُخاطَب في قوله تعالى:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 89، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 66.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾؛ وذلك لِتعدُّد المراد به، فيجوز أن يكون موجَّهًا إلى المشركين على طريقة الالتفات من ضمائر الغَيبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرّوم: 8] إلى آخرها، وقد يكون الخطاب موجَّهًا إلى المؤمنين إذا قلنا: إنّ الآية إشارةٌ إلى أوقات الصّلوات، والمناسبة مع سابقه: أنّه لمّا وعدَهم بحُسْن مصيرهم، لقّنهم شُكرَ نعمةِ الله بإقامة الصّلاة في أجزاء اليوم واللّيلة[1].

بلاغة الطِّباق في الآية:

توضيح المعنى بجمع اللّفظ وضدّه

في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ طباقٌ بديعٌ بين لفظَي ﴿تُمۡسُونَ﴾ و﴿تُصۡبِحُونَ﴾، وهو محسِّنٌ مَعنَويٌّ، فبينَ تقابلِ الإمساء والإصباح وتخالفهما تضادٌّ يثير الذّهن ويجذب الانتباه، ويزيد الكلام حُسنًا وطرافةً، كما يقوّي المعنى، إذ بضدّها تتمايز الأشياء، كما يفيد شمولَ أوقاتِ النّهار بالجمع بين الصّباح والمساء.

براعة التّعبير بِفِعْلَي الإمساء والإصباح تامَّيْن:

اقتران التّسبيح بالأوقات المذكورة

أوثرَ استعمالُ الفعلين (أمسى) و(أصبح) في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ تامّيْن؛ لاقتران التّسبيح بالأوقات المذكورة، بمعنى: (حين تدخلون في المساء وفي الصّباح)، ومعنى التّمام في أفعال النّقصان عند سيبويه والجمهور: هو دلالتُها على الحَدَث والزّمان، ومعنى النّقصان عندهم: هو سلب الدّلالة على الحدث، والتّجرّد للدّلالة على الزّمان.

دلالة التعبير بـ(الواو) في: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾:

غنى ربّ العالَمين عن عبادة العابدين

جاءت الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتراضيَّةً بين المعطوف والمعطوف عليه، والنّكتة في هذا الاعتراض:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 65.

أنّ اللّه تعالى لمّا أمر العباد بالتّسبيح، كأنّه بيّن لهم أنّ تسبيحهمُ اللّهَ لنفعهم أنفسِهم، لا لنفعٍ يعود على اللّه، فعليهم أن يحمدوا اللّه إذا سبّحوه، وفيه التّنبيه على أنّ تلك الأوقات كما أنّها ظرفٌ للتّسبيح تكون ظرفًا للحمد أيضًا، فالاجتهادُ بأنواع الذّكر في عموم الأوقات لازمٌ لكلّ أرباب المعارف[1].

دلالة التّعبير بـ(اللّام) في: ﴿وَلَهُ﴾:

استحقاقُ الرّبّ الحمدَ والثّناء من أهل الأرض والسّماء

وَرَدَ التّعبيرُ باللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لبيان الاسْتِحْقاق، فاللّهُ سبحانه مستحِقٌّ للمدح والثّناء، جديرٌ أن يحمده أهلُ الأرض والسّماء؛ أو لبيان المِلك، أي: أنَّه سبحانه خالقٌ لكلِّ مَن نَطَقَ بالحَمدِ، فكان مالكًا له؛ إذِ الخالقُ مالكٌ، أو لبيان الاختصاص: أي: أنَّ له سبحانه بكُلِّ المحامدِ اختصاصًا[2]، وكونُ اللّام للاستحقاقِ أشبه بالقواعدِ، ولهذا اقتَصَر أبو حَيّان على هذا المعنى[3]؛ فإنَّ لامَ الاستحقاقِ هي الواقِعَة بَين مَعنًى وذاتٍ[4]، كما في هذه الآية.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾:

اختصاصُ ربّ العالَمين بحمد أهل السّماوات والأرَضين

تقدّم الجارُّ والمجرور (له) في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لإفادة الاختصاص، وقَصْر جنسِ الحمد على اللّه تعالى؛ لأنّ حمدَه هو الحمدُ الكامل، ولأنّ له الحمد من جميع خَلْقِه دونَ غيره، في السّماوات من سكّانها من الملائكة، والأرض من أهلها من جميع أصناف خَلْقه فيها، ويمكن أن يكون التّقديمُ للاهتمام بضمير الجلالة[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 88، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 15/ 116.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 1/ 483، والقِنَّوجي، فتح البيان: 11/ 161.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 34.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 275.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 473، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.

سرُّ التّعبير بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ دون الثّناء:

عـمـوم الحمد فـي الـفضائل والفواضل

عُبّر بلفظ الحمد دون الثّناء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، لوجود فرقٍ بينهما؛ فالحمد معناه: الوَصْفُ بالجميل على جهةِ التَّفضيلِ[1]، أو هو الإخبارُ بمحاسِنِ المحمودِ معَ المحبَّةِ له[2]، وهذا المعنى أصحّ ممّن جعل الحمد هو الثَّناء باللِّسان على الجميل[3]، سَواءٌ تعلَّق بالفضائل كالعِلْم، أم بالفَواضِل كالبِرِّ[4]، وعلى ذلك فالحمدُ مغايرٌ للثّناء، يؤكِّد ذلك ما ثبت عن أفصح العربِ ﷺ، وذلك فيما يرويه عَنْ ربِّه ﷻ أنَّه قال: «قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْني وبَيْنَ عَبْدي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ، فإذا قالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2]، قال اللّهُ تعالى: حَمِدَني عَبْدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: 3]، قال اللّهُ تعالى: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدي ...» الحديثَ[5]، فغايَرَ بينهُما.

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾:

اسـتـغـراق المحامد كلّها لله

جاء لفظُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُعَرَّفًا بـ(أل)، وفي دِلالة (أل) عِدَّةُ أقوالٍ؛ **الأوَّلُ**: أنَّها لِلاستغراق، وهو الصَّحيحُ، وقد اختاره جماعةٌ مِنْ أهل العلم، مِنهم ابنُ عَطيَّة الأندلسيُّ[6]، **والثّاني**: أنَّها لتعريف الجِنس، ومال إليه الزَّمخشريُّ، وجعلَ الأوَّلَ وهمًا فقال: "والاستغراقُ الذي يتوَهَّمُه كثيرٌ مِنَ النّاس وهمٌ مِنهُم!"[7]، **والثّالث**: أنَّها لِلعَهدِ، على معنى أنَّهُ "الحمدُ الذي حَمِدَ به نفسَه وحَمِدَهُ به أولياؤُه"[8]، "والعِبرَةُ بِحَمدِ مَن

(1) ابنُ سِيدَهْ، المُخصَّص: 5/ 231 - 232.
(2) ابنُ تيميَّة، مجموع الفتاوى: 6/ 259.
(3) الخليل، العَين: 3/ 189، والأنباريُّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: 2/ 78.
(4) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 201.
(5) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (395).
(6) ابن عطيَّة، المحرَّرُ الوجيز: 1/ 66.
(7) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 10.
(8) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 1/ 482 - 483.

ذُكِر، فلا فردَ مِنهُ لِغيرِه"[1]، **والرّابع**: أنَّها لِلكَمالِ، وهو مُخرَّجٌ على كلامٍ لِسيبَوَيهِ في (أل) الدّاخلةِ على الصِّفات[2].

والقولُ الأوَّل أصَحُّ - كما سبق -، وقد ذكر السُّيوطيُّ أنَّه قول المُحَقِّقين[3]، قال البَيْضاويُّ في وجه الإستغراق: "إذِ الحمدُ في الحقيقة كُلُّهُ له؛ إذ ما مِن خيرٍ إلّا وهو مولِيهِ بِوَسَطٍ أو بِغَيْرِ وسَطٍ"[4].

بلاغة التّعبير بالجملة الاسميّة:

ثبوت الحمد لله وإن لم يَحمَدهُ أحدٌ

أوثِرَ التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ دون الفعليّة، كنحو: (احمدوه) مثلًا لوجوهٍ[5]؛ **الأوّل**: أنَّ الجملة الفعليّة توهِمُ أنَّ الخلق قادرٌ على تَوْفِيَةِ الحَمْدِ حقَّهُ، بخلافِ الاسميَّة فإنَّها تُفيد استحقاقَ اللّه تعالى للحَمْدِ قَبْلَ حَمْدِ الخلقِ له، واللَّفظ الدّالُّ على استحقاق اللّه لِلْحَمْدِ مُقَدَّمٌ على غيره، **الثّاني**: أنَّ في جملة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ مِنَ الاسْتِغْراق لأنواع المحامد ما لَيْسَ في (احمدوه)، فقولُه: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ دخَلَ فيه حَمْدُهُ وحَمْدُ غيرِه جميعًا، مِن لَدُنْ خَلْقِ العالَم إلى انتهاء دخول أهل الجنَّةِ الجنَّةَ: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: 10][6]، **الثّالث**: أنَّ الجملة الاسميّة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ دالَّةٌ على الثُّبوت والاستمرار بالقرائن، بخلاف (احمدوه) فإنَّها جملة فعليَّة تَدُلُّ على الحدوث؛ والثُّبوتُ والاستمرارُ أنسَبُ في مقام الثَّناء، **الرّابع**: أنَّ في جملة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ إثباتًا للحَمْدِ مع التّعريضِ بِالاسْتِغْناءِ عن الخلقِ؛ أي: الحمد للّه وإن لَمْ يَحْمَدْهُ أحدٌ[7].

(1) الخطيب الشّربيني، السّراج المُنير: 1/ 8.
(2) الخطيب الشّربيني، السّراج المنير: 1/ 8.
(3) السُّيوطي، نواهد الأبكار: 1/ 164.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/ 27.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 1/ 191.
(6) السُّيوطي، نواهد الأبكار: 1/ 166.
(7) ابن عَجِيبة، البحر المديد: 1/ 53.

بلاغة إخراج الأمر في صورة الخبر:

وجوب المسارعة إلى الامتثال بإخراج الأوامر في صورة الأخبار

جاء الخبرُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ مُرادًا به الأمر، بمعنى: (احمدوه)، والنّكتة البلاغيَّة في ذلك تأكيدُ الأمر، والإشعارُ بأنّه مِمّا يجب أن يُتَلَقَّى بالمسارعة إلى امتثاله، حتّى كأنّه امتُثل، فهو يُخبَر عنه موجودًا، فدلّ هذا النّظمُ على ثبوت الحمد له تعالى، ووجوبه على المميِّزين من أهل السّموات والأرض على أبلغ وجهٍ وآكَدِه[1].

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

عموم الحمد من جميع مخلوقاته

دلَّ التعبيرُ بـ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على شمول الحمد له سبحانه من جميع خَلْقِه في السّماوات من سكّانها من الملائكة، والأرض من أهلها من جميع أصناف خلقه فيها[2]، فكأنّ الحمد مُتَجَسِّدٌ في السّماوات والأرض، منغمسٌ فيها انغماسَ المظروف في الظّرف، إشارةً إلى ثبوت الحمد في السّماوات والأرض وفي سُكّانها.

نوع (أل) في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾:

ثبوت الحمد في عموم السّماوات والأرض

وَرَدَت كلمتا ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ معرّفتين بأداة التّعريف (أل)، الدّالّة على تعريف الجنس، سواء أُريد بالسّماء الجنسُ الصّادق بجميع السّماوات على طريقة العموم الحقيقيّ، أو الصّادق بسماوات مشهورة على طريقة العموم العرفيّ وهي السّماوات السّبع[3]، وكذلك الأرض فتعريفُها تعريفُ الجنسِ المقتضي للعموم.

نُكْتَةُ تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾:

الآيات في السّموات أعظمُ منها في الأرض

تقدّم ذِكْرُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِنُكَتٍ بلاغيَّةٍ؛ وهي أنّ السّماوات والأرض تُذكَر

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 54.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 473، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 67.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 97.

غالبًا في سياق آيات الرّبِّ الدّالّة على وحدانيّته وربوبيّته، ومعلومٌ أنّ الآياتِ في السّماوات أعظمُ منها في الأرض لسعتها، وعِظمها، وما فيها من كواكبها، وشمسها، وقمرها، وبروجها، وعلوِّها، واستغنائها عن عَمَدٍ تُقِلُّها، أو عِلاقَة تَرفعُها، إلى غير ذلك من عجائبها؛ ولهذا أمر سبحانه بأن يرجِع النّاظرُ فيها البصرَ كَرَّةً بعد كَرَّةٍ، ويتأمّلَ استواءها واتّساقها، وبراءَتها من الخلل والفطور، فالآية فيها أعظمُ من الأرض، وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ سبحانه وبحمده[1].

دلالة العطف بـ(الواو) في: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

الجمع والاقتران بالتّسبيح والحمد من جميع مخلوقاته

عُطفت الأرضُ على السّماوات في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بحرف الواو الدّالّة على الجمع والاقتران؛ لإفادة عظَمة مُلك الخالِق ﷻ، وشمول تسبيحه وحمده سبحانه من جميع مخلوقات السّماوات والأرض، كما قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: 44].

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَعَشِيّٗا﴾:

تنوّع المعنى بالعطف على التّسبيح أو الحمد

اقترن قولُه تعالى: ﴿وَعَشِيّٗا﴾ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران، وهو إمّا معطوفٌ على التّسبيح الوارد في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾، فيكون مقصودًا به صلاةُ العصر على قول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما بأنّ هذه الآيةَ في أوقات الصّلاة[2]، وقد يكون معطوفًا على الحمد الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فخُصِّص الحمدُ بالعشيّ؛ لأنّ تجدّد النّعم فيه أكثر[3].

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 130.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 332.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 203.

سرّ العدول إلى الاسم ﴿وَعَشِيًّا﴾ دون الفعليّة:

العشيّ ليس من الأوقات الّتي تختلف فيها أحوالُ النّاس

عُدل عن استعمال الفعل (تعشون) في قوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إلى الاسم ﴿وَعَشِيًّا﴾، ولم يَرِد بالفعل كما في (تصبحون، تمسون، تظهرون)؛ لأنّه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدّخول في العشيّ، كالمساء والصّباح والظّهيرة، فلا يقال: (تَعشون) بمعنى الدّخول في العشيّ، ولعلّ السّرّ في ذلك أيضًا أنّه ليس من الأوقات الّتي تختلف فيها أحوالُ النّاس، وتتغيّر تغيُّرًا ظاهرًا، مصحِّحًا لوصفهم بالخروج عمّا قبلها، والدّخول فيها، كالأوقات المذكورة، فإنّ كلًّا منها وقتٌ تتغيّر فيه الأحوالُ تغيّرًا ظاهرًا، أمّا في المساء والصّباح فظاهر، وأمّا في الظّهيرة فلأنّها وقتٌ يُعتاد فيه التّجرّد عن الثّياب للقيلولة[1].

نُكْتَةُ تأخيرِ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ على ﴿وَعَشِيًّا﴾:

التّقديمُ والتّأخير لمراعاة توافق الفواصل

تقدّم قولُه تعالى: ﴿وَعَشِيًّا﴾ على ﴿تُظْهِرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، مع أنّ الظّهر يتقدّم زمانًا على العشيّ؛ لنُكتة مراعاةِ الفواصل، خاصّةً وأنّ (العشيّ) لا يُشتَقّ منه فعلٌ يُسْنَد إلى ضمير المخاطَبين، بمعنى الدّخول في هذا الوقت.

سرّ تخصيص النّهار بالحمد، واللّيل بالتّسبيح:

مقابلة نِعَمِ النّهار بالحمد، وخَلْوةِ اللّيل بالتّسبيح

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ تخصيصُ التّسبيح بالمساء والصّباح؛ لأنّ آثار القدرة والعظَمة فيهما أظهر، وتخصيصُ الحمد بالعشيّ الذي هو آخِرُ النّهار من عَشِيَتِ العَينُ إذا نَقَصَ نورُها، والظّهيرة الّتي هي وسطه؛ لأنّ تجدّد النّعم فيهما أكثر[2]، وعلى القول بأنّ الآية في الصّلوات الخمس، فقد خُصّت

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 8.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 203.

صلاةُ اللّيلِ باسم التّسبيح، وصلاةُ النّهارِ باسم الحمد، والنّكْتَةُ في ذلك أنّ للإنسان في النّهار متقلَّبًا في أحوالٍ توجِبُ حمدَ الله تعالى عليها، وفي اللّيل خَلْوةً توجِب تنزيهَ الله فيها، فلذلك صار الحمدُ بالنّهار أخصَّ، فسمّيت به صلاةُ النّهار، والتّسبيحُ باللّيل أخصَّ، فسمّيت به صلاةُ اللّيل[1].

نُكْتَةُ تقديمِ التّسبيح على الحمد:

التّخليَة متقدِّمةٌ على التّحلية

تقدّم التّسبيح على الحمد في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، والنّكتةُ في ذلك: أنّ التّسبيح تخليةٌ بتنزيهِ الله ﷻ عن كلِّ ما لا يليقُ بشأنِه سبحانَهُ، وأمّا حمدُه تعالى والثّناءُ عليه ووصفُه بما هو أهله منَ الصّفات الجميلة والشّؤون الجليلة هو تحليةٌ، ومعلومٌ أنّ التّخلية متقدِّمةٌ على التّحلية[2].

دلالة تفصيل الأزمان في الآيتين:

شغل اللّسان بالحمد والتّسبيح في أجزاء الزّمان

النّاظر في الآيتين يجد الدّعوةَ إلى تسبيح الله وتحميده في أوقاتٍ مُحَدَّدَةٍ، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، ولم يأت الأمرُ بهما مُجْمَلًا، مع أنَّ المقصودَ التّأبيد، كما تقول: (سبحان الله دومًا)، غيرَ أنّه قد سُلِكَ به مَسلَك الإطنابِ؛ لأنّه مناسِبٌ لمقام الثّناء[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّسبيح والتّنزيه:

عُمومُ التّسبيحِ للتّنزيهِ والتّعظيمِ

كَثيرًا ما يُستَعمَلُ التّسبيحُ بمَعنى التّنزيهِ، إذ يُستعملان في حَقِّ الله ﷻ، ولكن عندَ التّدقيقِ نجدُ أنَّ بينَهما فرقًا لَطيفًا، فالتّسبيحُ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 15.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 54.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 65.

فيه جانبان: التَّنزيهُ والتَّعظيمُ، ويُقدَّمُ أحدُ المعنيين على الآخَرِ بحسَبِ السّياقِ، ومِن أدِلَّةِ كَونِ التَّسبيحِ تَعظيمًا: تَفسيرُهُ في مَواطِنَ بالصَّلاةِ، والصَّلاةُ فيها جانِبُ التَّعْظيمِ للمَعبودِ كما هوَ ظاهِرٌ، فمَثَلًا في قَولِ الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: 30]، لم يَقَعْ سوءٌ يُنزَّه اللّهُ عَنهُ كَما في قَوْلِه تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ [البقرة: 116]، والفَرقُ بينَ الموضِعَينِ ظاهِرٌ، فجانِبُ التَّعظيمِ في هَذا السّياقِ أظهرُ من جانِبِ التَّنزيهِ، ونَظيرُهُ أيضًا في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: 1]، فأينَ جانبُ النَّقصِ ليكونَ المرادُ بالتَّسبيحِ هاهُنا التَّنزيهَ؟ إذًا فجانِبُ التَّسبيحِ يَزيدُ عَلى مجرَّدِ التَّنزيهِ بِأنَّهُ تَعْظيمٌ للمَولى ﷻ، ولهذا آثر النّظمُ الكريم في هذه الآية لفظَ (التّسبيح)؛ لعمومه وشموله للتّعظيم باللّسان والصّلاة وغيرِها.

العشيّ والأصيل:

دلالــةُ العشيّ عــلى صــلاة العصر

يشترك لفظا (العشيّ) و(الأصيل) في الدّلالة على آخر النّهار، ويتّضح الفرقُ بينهما في تحديد زمن كلٍّ منهما، فقال بعض العلماء: إنّ الفيء إذا فاء سُمّيَ عشيّة، ثمّ أصيلًا بعد ذلك[1]، فعلى هذا القول يكون وقت الأصيل بعد العشيّ، قال ابن فارس: "الأصيل بعد العشيّ، وجمعه: أُصُل وآصال"[2]، ولكن ذهب الثّعالبيّ إلى عكس هذا، فجعل العشيَّ بعد الأصيل، حيثُ قال في تَعْديدِ ساعاتِ النَّهارِ واللَّيل: "ساعاتُ النَّهارِ: الشُّروقُ، ثُمَّ البُكورُ، ثُمَّ الغُدْوَةُ، ثُمَّ الضُّحى، ثُمَّ الهاجِرَةُ، ثُمَّ الظَهيرَةُ، ثُمَّ الرَّواحُ، ثُمَّ العَصْرُ، ثُمَّ القَصْرُ، ثُمَّ الأصيلُ، ثُمَّ العَشيُّ، ثُمَّ الغُروبُ"[3]، وقد آثرَ النّظمُ في هذه الآية

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 383.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أصل).
(3) الثّعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربيّة، ص: 215.

لفظَ العشيّ؛ لدلالته على صلاة العصر، ومنه حديثُ ذي اليدين: «صَلّى بنا رَسولُ اللَّه ﷺ إحْدَى صَلاتَيِ العَشيِّ...»[1]، يقصد الظّهر أو العصر، قال ابن عاشور: "والعشيّ: ما بعد العصر، يقال: عشيّ وعشيّة"[2].

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (482)، ومسلم في صحيحه، برقم: (573).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 228.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»